بسم الله الرحمن الرحيم

الإِبْدَاعُ فِي خَلْقِ الإِنْسَانِ

الحَمْدُ للَّهِ الَّذِي خَلَقَ الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، وَأَمَرَ عِبَادَهُ بِالتَّفَكُّرِ فِي هَذَا الخَلْقِ العَظِيمِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَحْسَنُ المُتَفَكِّرِينَ، وَسَيِّدُ المُتَدَبِّرِينَ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ –عِبَادَ اللَّهِ–، فَإِنَّ فِي التَّقْوَى صَلاحَ العَمَلِ وَمَغْفِرَةَ الذَّنْبِ وَطَرِيقَ الفَوْزِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[1].

أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ:

إِنَّ التَّأَمُّلَ فِي أَنْفُسِنَا دَعْوَةٌ إِلَهِيَّةٌ، وَنِعْمَةٌ رَبَّانِيَّةٌ مَنَّ بِهَا رَبُّنَا سُبْحَانَهُ عَلَيْنَا، فَعِنْدَمَا نَنْظُرُ فِي أَجْسَادِنَا مَثَلًا، نَجِدُ أَنَّ كُلَّ عُضْوٍ يَعْمَلُ بِتَنَاغُمٍ مَعَ الآخَرِ، فِي نِظَامٍ بَدِيعٍ يَدُلُّنَا عَلَى عَظَمَةِ الخَالِقِ المُصَوِّرِ الَّذِي بَرَأَ وَأَبْدَعَ وَأَنْشَأَ، يَقُولُ جَلَّ جَلالُهُ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[2]، فَهَلَّا تَأَمَّلَ الإِنْسَانُ فِي دَقَائِقِ صُنْعِهِ؟! فَنَظَرَ فِي كَيْفِيَّةِ تَنَفُّسِهِ، وَأَمْعَنَ فِي دَقَّاتِ قَلْبِهِ، وَأَعْمَلَ فِكْرَهُ فِي عَمَلِ عَيْنِهِ وَأُذُنِهِ، فَإِنَّ هَذِهِ النِّعَمَ وَغَيْرَهَا دَلِيلٌ قَاطِعٌ عَلَى وُجُودِ خَالِقِهِ ﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾[3].

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ:

(١) الأحزاب: ٧٠ ، ٧١
(٢) المؤمنون: ١٢ - ١٤
(٣) الطور: ٣٥

لا غَرَابَةَ أَنْ يَكُونَ التَّنَاغُمُ الحَيُّ فِي نَفْسِ الإِنْسَانِ دَلِيلًا عَلَى خَالِقِهِ سُبْحَانَهُ، وَلِذَا فَإِنَّنَا نَجِدُ المَوْلَى الصَّانِعَ القَدِيرَ يُوَجِّهُ العِبَادَ إِلَى النَّظَرِ فِي أَنْفُسِهِمْ، يَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[1]، بَلْ دَعَا إِلَى النَّظَرِ فِي أَجْزَاءِ الجِسْمِ وَجَمَالِ صُنْعِهَا وَحُسْنِ عَمَلِهَا: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾[2]، وَلَيْسَ هَذَا مَحْصُورًا فِي الأَعْضَاءِ البَارِزَةِ أَوِ الظَّاهِرَةِ، بَلْ حَتَّى مَشَاعِرُ الإِنْسَانِ وَأَحَاسِيسُهُ دَلائِلُ عَلَى عَظَمَةِ اللَّهِ وَصُنْعِهِ المُتْقَنِ، فَشُعُورُكَ أَيُّهَا المُؤْمِنُ بِالحُبِّ، وَالرَّحْمَةِ، وَالفَرَحِ، وَالحُزْنِ لَيْسَ أَمْرًا عَابِرًا لا أَصْلَ لَهُ، إِنَّمَا هُوَ هِبَةُ اللَّهِ فِي قَلْبِكَ الَّتِي تَعْكِسُ عَظَمَتَهُ وَرَحْمَتَهُ بِنَا، وَالنَّبِيُّ ﷺ يُبَيِّنُ جُزْءًا مِنْ هَذَا المَعْنَى فِي المَرْأَةِ الَّتِي فَقَدَتْ طِفْلَهَا ثُمَّ وَجَدَتْهُ، فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لأَصْحَابِهِ: ((أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟))، قَالُوا: لا وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَلَّا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: ((لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا))، وَفِي صِفَةِ الجَمَالِ وَمَا يُخَالِطُهَا مِنْ مَشَاعِرَ مُحَبَّبَةٍ إِلى النَّفْسِ البَشَرِيَّةِ إِنَّمَا هِيَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ))، كُلُّ ذَلِكَ ﴿ لِّتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾[3].

فَاتَّقُوا اللهَ –عِبَادَ اللهِ–، وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ يَنْظُرُونَ وَلا يَتَفَكَّرُونَ، وَيَسْمَعُونَ وَلا يَعُونَ: ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾[4].

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ البَرُّ الكَرِيمُ.

*** *** ***

الحَمْدُ للهِ الخَالِقِ المُصَوِّرِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

(١) الذاريات: ٢٠، ٢١
(٢) البلد: ٨ – ١٠
(٣) الطلاق: ١٢
(٤) يوسف: ١٠٥

وَٱلْأَرْضِ ﴾، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ المُهْتَدِينَ بِهَدْيِهِ إِلَى يَوْمِ العَرْضِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللهِ: إِنَّ التَّفَكُّرَ حَقًّا فِي مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ، مِنَ النَّفْسِ الَّتِي نَحْمِلُهَا إِلَى الكَوْنِ البَدِيعِ الَّذِي يُحِيطُ بِنَا، يُشْعِلُ جَذْوَةَ الإِيمَانِ فِي القُلُوبِ، وَيَقُودُ المُؤْمِنَ إِلى الاعْتِرَافِ بِاللَّهِ عَلَّامِ الغُيُوبِ، وَإِنْ شِئْتَ فَانْظُرْ فِي عِتَابِهِ جَلَّ وَعَلا لِلْقَوْمِ الَّذِينَ لا يَتَفَكَّرُونَ، يَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾[1]، فَلْنَجْعَلْ مِنَ التَّفَكُّرِ عِبَادَةً نُحَافِظُ عَلَيْهَا تَعْزِيزًا لِلإِيمَانِ، وَدَلِيلًا يُعَرِّفُنَا بِالرُّؤُوفِ المَنَّانِ، فَقَدِ امْتَدَحَ اللَّهُ تَعَالَى أَصْحَابَ هَذِهِ العِبَادَةِ فَقَالَ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[2].

فَاتَّقُوا اللهَ –عِبَادَ اللهِ–، وَلا تَظْلِمُوا أَنْفُسَكُمْ بِالتَّغَافُلِ عَنْ خَالِقِكُمْ: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [3].

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ؛ مُحَمَّدٍ الهَادِي الأَمِينِ، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾[4].

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وسَلَّمتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ

(١) الحج: ٤٦
(٢) آل عمران: ١٩٠ ، ١٩١
(٣) الأنعام: ٢١
(٤) الأحزاب: ٥٦

أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وعَنْ جَمْعِنَا هَذَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلا تَدَعْ فِينَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ وَاهْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَقِّ، وَاجْمعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الخَيْرِ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلامَ وَالأَمْنَ لِعِبادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ كُنْ عَوْنًا للمُسْلِمِينَ والمُسْتَضْعَفِينَ فِي كُلِّ مَكانٍ، وَكُنْ مَعَهُمْ وَثَبِّتْهُمْ وَارْبِطْ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَصَبِّرْهُمْ، وَاخْذُلْ عَدُوَّكَ وَعَدُوَّهُمْ، وَاجْعَلِ الدَّائِرَةَ عَلَيْهِ يَا ذَا الجَلالِ وَالإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ، وَالعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، ونَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، ونَسْأَلُكَ قُلُوبًا سَلِيمةً، وأَلْسِنةً صَادِقةً، ونَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، ونَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوفِيقِكَ، وَاحفَظْهُ بِعَينِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وكُلِّ أَرزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ. رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ، المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَاتِ، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾.